رثاء المدن في بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية

حسين احمد سلمان

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

المستخلص

تعتبر مراثي المدن في بلاد الرافدين من اهم الاجناس الادبية الدينية التي شاعت كتابتها باللغة السومرية واللغة الاكدية، وقد تاثرت كتابه المراثي بالتحولات السياسية والكوارث الاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها المدن الكبرى.وقد كتبت المراثي في النصوص المسمارية كرد فعل ديني على تدمير المدن والقصور والمعابد سواء كانت بفعل الحروب او الزلازل او الانهيارات السياسية. وقد دونت تلك المراثي على الواح طينية وجدت في امهات المدن القديمة كمدينة اور ونفر، وهو يعكس استعمالها الديني وانتشارها في السياق الديني الرافدين، وقد انقسمت المراثي لمدن بلاد الرافدين الى مراثي تصور دمار المدينة باكملها، وفي بعض الاحيان تركز على خراب وحرق المعابد والمؤسسات الدينية، وهذه المراثي تعكس فهما جماعيا للالم والخسارة ويوظف الطقس كاداة لتوثيق الحدث وتجاوز اثاره النفسية والروحية. وتتميز المراثي بمقدمة تحدد سبب الحزن، ثم تنتقل الى تصوير مفصل للخراب والدمار وما خلفه من شقاء وانهيار في النظام الاجتماعي والاقتصادي، ويتبع ذلك توسلات دينية موجهة الى الالهة طلبا للعون والرحمة والتدخل لانقاذ المدينة، وتظهر المراثي غالبا الامل باعادة التوازن واسترداد النظام الكوني للمدينة. وتعتبر المراثي وسيلة جماعية للتعبير عن الحزن وتعد من اقدم النصوص المسمارية التي تجسد الاسى على فقدان المعبد او المدينة. ومن الناحية التاريخية يعد ادب رثاء المدن في بلاد الرافدين من اقدم الانماط الدينية المسمارية التي ظهرت في الالفية الثالثة قبل الميلاد، وقد تم توثيق سبعة نصوص مسمارية رئيسية تنتمي الى هذا السياق الديني.

الكلمات المفتاحية : رثاء المدن، بلاد الرافدين، النصوص المسمارية، الطقوس الجنائزية .

City Lamentations in Mesopotamia in the Light of Cuneiform Texts

Hussein Ahmed Salman
Mustansiriyah University/ College of Education

Abstract

City laments in Mesopotamia are among the most important religious literary genres, widely written in Sumerian and Akkadian. The composition of these laments was influenced by the political upheavals and socioeconomic disasters that befell the major cities. These laments, recorded in cuneiform texts, served as a religious response to the destruction of cities, palaces, and temples, whether caused by wars, earthquakes, or political collapses. They were inscribed on clay tablets found in ancient cities such as Ur and Nippur, reflecting their religious use and prevalence within the Mesopotamian religious context. Mesopotamian city laments can be categorized into those depicting the complete destruction of a city, and those focusing on the ruin and burning of temples and religious institutions. These laments reflect a collective understanding of pain and loss, employing ritual as a tool to document the event and overcome its psychological and spiritual impact. Lamentations are characterized by an introduction that identifies the cause of grief, followed by a detailed depiction of the devastation and destruction, and the resulting misery and collapse of the social and economic order. This is followed by religious supplications to the gods, seeking aid, mercy, and intervention to save the city. Lamentations often express hope for the restoration of balance and the re-establishment of the city's cosmic order. They serve as a collective means of expressing sorrow and are among the oldest cuneiform texts that embody grief over the loss of a temple or city. Historically, Mesopotamian city-lamentation literature is one of the oldest cuneiform religious forms, appearing in the third millennium BCE. Seven major cuneiform texts belonging to this religious context have been documented.

Keywords: City Laments, Mesopotamia, Cuneiform Texts, Funerary Rituals

DOI: https://doi.org/10.47831/gtqxdz70

المقدمة:

تعد مراثي المدن في بلاد الرافدين من اهم الاجناس الادبية الدينية التي شاعت كتابتها باللغة السومرية واللغة الاكدية، وقد تاثرت كتابه المراثي بالتحولات السياسية والكوارث الاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها المدن الكبرى.وقد كتبت المراثي في النصوص المسمارية كرد فعل ديني على تدمير المدن والقصور والمعابد سواء كانت بفعل الحروب او الزلازل او الانهيارات السياسية. وقد دونت تلك المراثي على الواح طينية وجدت في امهات المدن القديمة كمدينة اور ونفر، وهو يعكس استعمالها الديني وانتشارها في السياق الديني الرافدين، وقد انقسمت المراثي لمدن بلاد الرافدين الى مراثي تصور دمار المدينة باكملها.

وفي بعض الاحيان تركز على خراب وحرق المعابد والمؤسسات الدينية، وهذه المراثي تعكس فهما جماعيا للالم والخسارة ويوظف الطقس كاداة لتوثيق الحدث وتجاوز اثاره النفسية والروحية (الاسود، 2002، صفحة 36). وتتميز المراثي بمقدمة تحدد سبب الحزن، ثم تنتقل الى تصوير مفصل للخراب والدمار وما خلفه من شقاء وانهيار في النظام الاجتماعي والاقتصادي، ويتبع ذلك توسلات دينية موجهة الى الالهة طلبا للعون والرحمة والتدخل لانقاذ المدينة، وتظهر المراثي غالبا الامل باعادة التوازن واسترداد النظام الكوني للمدينة. وتعتبر المراثي وسيلة جماعية للتعبير عن الحزن وتعد من اقدم النصوص المسمارية التي تجسد الاسى على فقدان المعبد او المدينة. ومن الناحية التاريخية يعد ادب رثاء المدن في بلاد الرافدين من اقدم الانماط الدينية المسمارية التي ظهرت في الالفية الثالثة قبل الميلاد، وقد تم توثيق سبعة نصوص مسمارية رئيسية تنتمي الى هذا السياق الديني.

مفهوم الرثاء :

في اللغة تشتق كلمة مرثية من الفعل رثى ويقال رثى فلانا اذا عبر عن حزنه عليه بعد وفاته سواء بالنثر او الشعر وقد ورد(ذكر محاسن الميت والتوجع عليه) ويستعمل ايضا بمعنى الحزن والتأبين (ابن منظور، 1414هـ/1992، صفحة 293)، وتمتاز نصوص المراثي ببنيتها الادبية الخاصة التي تبدا بمقدمة تحدد سبب الحزن والالم، ثم تنتقل الى تصوير مفصل للخراب والدمار وما خلفه من شقاء وانهيار النظام الاجتماعي والاقتصادي، ثم يتبع توسلات الناس بالالهة طلبا للرحمة او التدخل لانقاذ مدينتهم، ودائما يظهر الامل باعادة التوازن واسترداد النظام الكوني للمدينة المدمرة، وقد استعملت المراثي كوسيلة جماعية للتعبير عن الحزن وتعد من اقدم النصوص التي تجسد الاسى على فقدان المدينة او المعبد. وتكتب في الغالب بعد الكارثة مباشرة كما هو الحال في سقوط مدينة اور او تدمير مدينة نفر. ومن الناحية التاريخية يعد ادب الرثاء في بلاد الرافدين من اقدم الانماط الادبية المسمارية التي ظهرت في الالفية الثالثة قبل الميلاد، وقد تم توثيق سبعة نصوص مسمارية تنتمي الى هذا السياق الديني، وقد تميز هذا النوع الادبي باسلوب سومري فريد لمحتوى ديني هام فيما يتعلق بمراثي المدن المدمرة التي تصور دمار الحواضر الكبرى بوصفه حدثا كونيا يستدعي الحزن المنظم والوساطة الالهية (Gwatney, 1983, p. 195) **ومن هذه المراثي ما يأتي:**

1- مرثية تخريب مدينة اور وبواقع 435 سطرا، احد عشر مقطعا.

2- مرثية بلاد سومر وتسمى مرثية ابي- سين وتعد المرثية الثانية لمدينة اور وتتكون من 526 سطرا وبواقع،خمسة مقاطع .

3- مرثية مدينة نفر وبواقع 324 سطرا، اثنا عشر مقطعا.

4- مرثية مدينة الوركاء وبواقع 400 سطرا،اثنا عشر مقطعا.

5- مرثية مدينة اريدو وبواقع 280 سطرا، ثمانية مقاطع.

6- مرثية مدينه لجش وبواقع 105 سطرا.

7-مرثية مدينة اكد(لعنة اكد).

8- مرثية مدينة بابل (مردوخ) حول تدمير مدينة بابل التي وجدت في اللوح الرابع من اسطورة ايرا والتي نظمت في نهاية الالف الثاني قبل الميلاد.

تعد المراثي حدثا نفسيا ودينيا يطال البنية العاطفية للمجتمع، لان المدينة والمعبد تعتبر اماكن مقدسة تتداخل فيها النظم السياسية والدينية وحين يتعرض هذا الكيان للخراب والدمار فان ردة الفعل لا يكون من خلال التوثيق التاريخي فحسب بل من خلال شعيرة جماعية تستعيد معنى الالم وتفتح المجال لاعادة بناء الهوية المجتمعية، فالفقد لا يرثى بوصفه خسارة، بل يعاد ترميمه دينيا وبذلك تجسد مراثي المدن في بلاد الرافدين صيغة فريدة من الادب الديني اذ تتداخل الوظيفة الشعرية مع الخطاب الديني وتتحول الكارثة والمصيبة في بعض الاحيان الى لحظة للتأمل الجماعي واعادة التوازن بين الالهة والمدن والناس (Jacobsen, 1942, pp. 74-75).

DOI: https://doi.org/10.47831/gtqxdz70

ومن اشهر نماذج رثاء المدن التي ارتبطت بالخراب والتدبير ما ياتي:

اولا: مراثي الالف الثالث قبل الميلاد:

1- مرثية مدينة اور: تمثل مرثية مدينة اور من اقدم النصوص المسمارية الادبية التاريخية والتي تضمنت وصف شامل لما حل من خراب ودمار لمدينة اور، وهي تنتمي الى ما يعرف بالرثاء السومري الذي ازدهر في اعقاب الكوارث السياسية والطبيعية. كتبت هذه المرثية في العصر البابلي القديم (2000-1595ق.م) وتحديدا في مدة بعد سقوط سلالة اور الثالثة (2004 ق.م) على يد شتروك – ناختي العيلامي، وقد جمعت نصوصها من اكثر من عشرين لوحا معظمها من مدينة نفر ما عدا رقيم واحد من مدينة اور[1] نفسها، وتعود اقدم نسخها المعروفة الى عهد الملك البابلي سمسو- ايلونا(1749-1712 ق.م) ، وتبرز المرثية مشهدا مأساويا لانهيار مدينة اور، التي كانت مركزا دينيا للاله ننا(سن) ومركزا سياسيا لسلالة اور الثالثة على يد قوى خارجية تجسدت في العاصفة، والتي تشير مجازيا الى الغزاه العيلاميين. الا ان العاصفة في المتن النصي تفهم على انها اداة انتقام الهي من الاله انليل اله العاصفة الذي قرر انزال العقاب الالهي بالمدينة، نتيجة خطايا بشرية، وربما بسبب تجاوزات سياسية او دينية (Kramer S. , 1940, p. 2) حيث يرد في بداية المرثية:

...رثاؤك مر اليم ايتها المدينة

مدينة اور التي دمرت، رثاؤها مر

آه اور المشيدة بالآجر، رثائك اليم، الحزن حل فيها.

آه يا مدينة الاسوار العالية، لقد هلكت ارضك... (رو، 1992، صفحة 241) (Kramer S. , 1969-A, p. 456)، في هذا النص من مرثية اور نجد قمة التعبير الادبي الديني عن مفهوم التدمير في ادب رثاء المدن في بلاد الرافدين، فهو لا يصور الخراب بوصفه حدثا ماديا فحسب، بل يتجاوز ذلك ليصبح حدثا كونيا ونفسيا يؤثر في النسيج الرمزي والاجتماعي للمدينة، هنا تجسد العاصفة ككائن فاعل وذات ارادة لا تقاوم، هي ليست مجرد ظاهرة مناخية، بل كيان الهي مدمر لا يرحم يتصرف بوحشية لا تعرف الأم ولا تعرف الاب على حد ما يرد لاحقا. تؤسس هذه الاوصاف لتفسير كوني للتدمير اذ يعاد تاويل الفناء كجزء من عدالة الهية تنفذ عبر عناصر الطبيعة.ترسم هذه الاسطر من مرثية حاله الدمار التي حلت بالمدينة نتيجة العاصفة التي اطلقها الاله انليل، وهي تحمل رمزية قوية تتعلق بمعنى التدمير كعقاب جماعي، فالعاصفة ليست مجرد حدث طبيعي عابر بالكائن موجه مدمر يتصرف وفق مشيئة الاله، ويعكس غضبه وبهذا تظهر العاصفة وكانها اداة انتقام الهي تستعمل لتدمير كل ما يقف امامها، مما يضاعف من حالة الرعب والرهبة بين الناس. وجاء في المرثية ايضا

...الاله انليل دعى العاصفة، الشعب يئن

انها تهاجم الارض وتلتهمها

الريح المؤذية، بالدموع لم تناشد

العاصفه المدمرة تجعل الارض ترتجف وتهتز

العاصفة المدمرة لكل شيء وردت لتفعل الشر... (Lutz, 1918-1919, pp. 12-16)

وتمضي المرثية في القول:

...جثث البشر مثل كسرات الفخار، كانت تملأ الطرقات

الدماء اريقت مثلما ينصب النحاس المنصهر

... في مدينة اور، القوي والضعيف هلك من الجوع

الامهات والاباء الذين لم يتركوا بيوتهم احرقتهم النيران

والاطفال في احضان امهاتهم كانوا كالسمك المبعد عن الماء

... سيدتها كالطير الطائر غادرت المدينة السوتيون والعلاميون،

المخربون الذين لا يعيرون اهمية لاي شيء كان لقد

جعلوا المدينة كتلا من الانقاض... (Kramer S. , 1969-A, pp. 459-460)

---

(1) اور: تعرف بقايا مدينة اور حاليا باسم المقير وهي تبعد قرابه 17 كلم جنوب غرب مدينة الناصرية في محافظة ذي قار. استوطنت المدينة منذ عصر العبيد في الالف الخامس قبل الميلاد واصبحت عاصمة لسلالة اور الثالثة (2112-2004 ق.م) انظر: (علي ش.، 1976، صفحة 13).

DOI: https://doi.org/10.47831/gtqxdz70

وتشير هذه الابيات النثرية الى نتائج العاصفة من منظور بشري، اذ لا تفرق المجاعة والنار بين قوي وضعيف ،كما تصف الاطفال كالسمك الملقى خارج الماء، وتحول من وصف جماعي الى معاناة فردية تمس كل بيت، حيث التركيز على الدماء والجثث والبيوت المحترقة مما يمنح النص واقعية شعرية مروعة، كما يصور المشهد حالة الدمار في مدينة اور بصورة بالغة القسوة اذ تملا جثث البشر الطرقات وكأنها قطع من الفخار المهشم، بينما تراق الدماء بغزارة، مما يظهر فضاعة المشهد. الوصف لا يكفي بذكر الاثر على المدينة ككل بل يتعمق ليصور معاناه الافراد اذ يموت الاقوياء والضعفاء جوعا وتلتهم النيران منازلهم، بينما يشبه الاطفال في احضان امهاتهم بالاسماك المرمية خارج الماء وهو تصوير حزين يعكس حجم الكارثة الانسانية. كما تشير المرثية الى مغادرة الالهة ننكال الحامية لمدينة اور مما يشكل فقدان الحماية الالهية للمدينة وانهيار النظام الكوني الذي كان يضمن في استقرار المدينة. ان تخلي الالهة ننكال لا يمثل مجرد انسحاب رمزي بل يجسد شعريا لحظة الانفصال بين المدينة ومركزها الروحي المتمثل بالالهة ننكال. اذ تتحول مدينة اور الى كيان مستباح امام الغرباء بلا دفاع لا في السماء ولا في الارض، وهذا الانسحاب يعد اعلانا ضمنيا بانتهاء عملية الحماية الالهية، ويحول المدينة الى كومة رماد لا قيمه لها في المنظور الكوني. كما ان ذكر السوتيين والعيلاميين كبناة للخراب يعد بعدا سياسيا واجتماعيا للمأساة، اذ يصور هؤلاء الغزاة بوصفهم لا يرون في المدينة سوى غنيمة بلا قيمة مما يدفعهم الى تحويلها الى انقاذ دون اعتبار لقداستها او رموزها. ان تدميرهم لا يطال الحجر فقط بل يمتد الى الرمز الروحي المتمثل في سيدة المدينة التي هجرتها مما يبرز كيف ان التدمير في ادب الرثاء الرافديني لا يفهم بوصفه فعلا ماديا بل كتحول كوني يعيد المدينة بوصفها مكانا منسيا خارج دائرة الحماية الالهية. **ثم جاء في نص المرثية ايضا:**

....آه انت ياننكال ،التي هلكت بلادها، اجعلي قلبك كالماء

بعد ان دمرت مدينتك، الان كيف انت؟

المدينة اصبحت مدينة اجنبية، الان كيف انت موجودة؟

بيتك اصبح بيت الدموع، اجعلي قلبك كالماء... (الراوي، 2000، الصفحات 28-30) تظهر هذه الابيات حزن الالهة ننكال العميق على دمار مدينتها، ويحاكي ناظم المرثية بالاسى وتحول المدينة الى مكان غريب، ويوصي الالهة بجعل قلبها كالماء تعبيرا عن الصفاء والتقبل لما حدث كما لو كان الماء هنا رمزا للتسامي على الالم والتأقلم مع المأساه التي حلت بمدينتها. ثم تذكر المرثية:

...يا حسرتي على جميع الاعاصير سوية، انهالت على البلاد

العاصفة المحزنة التي ملأت البلاد

العاصفة التي تزيل كل ما هو خير من البلاد

العاصفة التي لا تعرف الأم، ولا تعرف الاب

العاصفة التي لا تعرف القوي، ولا تعرف الضعيف

العاصفة التي جعلت البلاد تهلك

لتنتهي كليا تلك العاصفة.... (Kramer S. , 1969-A, pp. 462-463)

في هذه الابيات الشعرية حتى الالهة كانت مصابة بالصدمة بحيث كاتب القصيدة يطلب من الالهة الى تقبل المصير بهدوء ورقة في استعاره مائية عميقة اجعلي قلبك كالماء تعني الرضا والتسليم بالواقع، وتدل على انكسار داخلي لدى الالهة يشبه البكاء الصامت وفي نهاية المرثية يلتمس الناظم الرحمة من الالهة لترجع الى المدينة وتعيدها لحالها الاول ولتعلو في الارض بعد ان دمرت وخربت واستبيحت من قبل الغزاة الاجانب.ومن نصوص المرثية ايضا.

... آه يانا الفقير الذي سلك سبيلك

جلبوا اليك دموع بيتهم المهزوم، امامك بكاؤهم

تماما شعبك شعب الرؤوس السود، الذين طردوا بعيدا، يلقون بانفسهم اليك

حقا مدينتك التي تحولت الى خراب ترسل صرخة اليك... (Lutz, 1918-1919, pp. 26-30)

وتشير هذه الابيات الى الشجن العميق على اثر الاعاصير التي اجتاحت البلاد ودمرت كل ما فيها وادت الى معاناة كبيرة دون تمييز بين القوي والضعيف، والام والاب ان تصوير العاصفة هنا يبرزها كقوة مدمرة شاملة لا تكترث لاي شيء في طريقها مما يخلق صورة للعذاب والفناء الذي تتعرض له البلاد دون رحمة، ولكن للالهة دور في احلال الخير من جديد بعد ان دمرت المدينة شريطة التوسل واسترضاؤها من قبل اصحاب الرؤوس السود. ان هذه المرثية وثيقة حضارية تعكس المعتقدات الدينية والنظرة الى المدينة ككيان عضوي وروحي والعلاقة المعقدة بين البشر والالهة في حضارة بلاد الرافدين ويفهم التدمير في هذا النص كاعادة ضبط الكون

DOI: https://doi.org/10.47831/gtqxdz70

وينفذ عبر ادوات طبيعية كالعاصفة والجوع والنيران ولكن بامر الهي ومن هنا فالرثاء هو نوع من الادب الذي يعيد خلق المدينة في الذاكرة الجماعية تمهيدا لاعادة بناؤها ماديا وروحيا .

2- **مرثية بلاد سومر:** تتالف مرثية بلاد سومر من (526) بيتا شعريا،مما يشير عن شدة التفاعل الشعوري والديني لحدث الخراب والتدمير الذي ضرب بلاد سومر، ويشير ايضا الى توظيفه ليس كحدث عرضي بل كاداة مركزية لاعادة تشكيل الوعي الجماعي. ففي حضارة بلاد الرافدين لم يكن الرثاء مجرد استجابة وجدانية لكارثة معينة بل ممارسة دينية تستعيد من خلالها الجماعة هويتها المهددة وتتمسك بجذورها الروحية والثقافية رغم العصف الكارثي (Langdon S. , 1941, p. 17) (Falkenstein, 1950, p. 14) . وهكذا حين يحل الخراب على بلاد سومر لا ينظر اليه كفعل بشري بل كمشيئة الهية ناتجة عن اختلال عميق في منظومة القيم (علي ا.، 1986، صفحة 309). وتوحي المرثية بان الدمار قد وظف كاداة دينية تعيد احياء الذاكرة الجماعية وتحث على التأمل في الماضي ،فضلا عن اهميتها في القاء الضوء على بعض الجوانب الخاصة بالمعتقدات الدينية والاجتماعية والسياسية في ذلك العصر (Michalowski P. , 1989, p. 35ff) (باقر ط.، 1976، صفحة 216). يبدا الشاعر مرثيته بوصف المصير المؤلم الذي حددته الالهة الاربع انو واناليل وانكي ونخرساك لبلاد سومر واكد حيث تم تعطيل النواميس الالهية، وتدمير المدن والمزارع ونقل الملكية الى ارض غربية. ان تخلي الاله نانا(سين) عن مدينه اور ادى الى انهياها بالكامل والى غزو البلاد من قبل الغزاة الاجانب وتدميرهم لكل شيء في طريقهم فضل عن اسر ملك اور ابي-سين ونقله الى بلاد عيلام كما جاء في النص الاتي:

...لم يعد الناس يسكنوا في ديارهم،
وانهم اسلموا للسكن في ارض الاعداء
واخذ ابي-سين مكبلا الى عيلام
كطائر هجر عشه، ولم يعد الى مدينته
تحولت المدينة وما حولها الى خراب
وذبح العديد من ذوي الرؤوس السود (Michalowski P. , 1989, pp. 37-43)

وتشير هذه الابيات في القصيدة الشعرية الى هزيمة عسكرية كبرى المت بها، حيث تسلب المدينة من سلطانها السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ويرحل ملكها، وتتحول من مركز حضاري الى ارض بور، فالتدمير لا يطال الجدران والمباني فقط بل يقصي المدينة عن دورها في التفاعل مع الالهة ويضع سكانها في موقع الاغتراب المكاني والزماني والروحي. وجاء في مرثية سومر ايضا.

... الام بابا تنوح بمرارة في معبدها (باو Bau)[2]
واحسرتاه(هي) تبكي بمرارة على المدينة المدمرة،المعبد المقدس
أم البلاد نن-سينا[3] بكت دموعا مرة،
في ذلك اليوم كانت كلمة انليل عاصفة هجومية،من يستطيع فهمها
كلمه انليل دمار على اليمين، ودمار على الشمال... (Michalowski, 1989, pp. 43-53)

وتشير المرثية الى الدمار والمعاناة الذين حل بمدينة اور ومدن سومر الاخرى. ويتجلى موضوع الخراب في صوره حزنا وتجريدا، اذ تصبح المدينة شخصا يعيش الفقد والبكاء، تصوير الام بابا وهي تنوح بمرارة في معبدها مما يعكس عمق ارتباط الناس والمدن بالالهة، اذ يرمز بكاؤها الى الحزن الجماعي للمدينة واهلها وكأن الأم تتحمل الم المدينة بصفيتها كيانا روحيا يرثى ما فقد، كذلك تبرز نن-سينا ام البلاد في هذا المشهد اذ تحزن وتبكي بدموع مرة على المعبد والمدن التي دمرت. ان الحزن عندما يسند الى الالهة ذاتها لانها شهود على الفاجعة ويكشف عن التصور الرافديني للعلاقة التبادلية بين المدينة والالهة، فدمار المعابد يعني جرحا في الجسد الالهي وانهيار المدينة يصيب السماء قبل الارض وفي اشارة الى الاله انليل يوصف قراره او كلمته بالدمار ممثلة كعاصفة هجومية وتعتبر كلماته قوة لا يمكن فهمها او ردعها امام القوى القدرية، وتنعكس هذه القوى على الارض اذ يعاني الناس من ابسط اساسيات الحياة كالماء والطعام. كما تحدثت المرثية عن مدينة اريدو العائمة على مياه عظيمة والمعاقبة بحرمانها من مواردها، وتبدو مدينة اور التي لم يعد فيها من يقدم الطعام والماء وهي صورة مجازية للمدينة الميته والتي كانت نابضه بالحياه كما جاء في النص:

---

(2) (باو Bau): وهي الالهة الرئيسة لمدينة كرسو وزوجه الاله ننكرسو **انظر:** (بوسكيت، 1992، صفحة 128).

(3) (نن-سينا): الهة قدست في حي كلاب وهي جزء من مدينة الوركاء ووصفت بانها والدة الملك السومري الشهير جلجامش وفيما بعد والدة الملك شولكي ثاني ملوك سلالة اور الثالثة واصبحت فيما بعد الالهة الرئيسة لمدينة ايسن. انظر: (رشيد ف.، 1980، صفحة 231).

DOI: https://doi.org/10.47831/gtqxdz70

... اريدو العائمة على مياه عظيمة، حرمت من مياه الشرب

انكي مدينتك لعنت، اعطيت الى ارض العدو

في مدينة اور لا احد يجلب طعاما، ولا احد يجلب ماء ... واحسرتاه،

بمرارة تبكي على المدينة المدمرة على المعبد المدمر... (Michalowski, 1989, pp. 43–53)

بهذا المعنى فان التدمير والخراب لا يضرب البنية المادية فقط بل يجفف الرمزية الحيوية كالماء رمز الخلق في الميثولوجيا الرافدينية حيث يسحب من المدينة فتصبح يابسة وينقطع فيها سبل التواصل الارضي والسماوي .ويستمر النص في وصف الدمار الذي حل بمدينة اور بصورة مؤثرة من خلال تعبيرات عده عن الهزيمة والدمار الشامل عندما يذكر ان العدو اضطهدنا في مدينة اور فهذا يحمل دلالة عميقة على الاذلال والمعاناة التي تكبدتها مدينة اور وعبارة اه لقد انتهينا تضفي طابعا ماساويا يعكس الاستسلام للاقدار والتلاشي الجماعي امام قوة عاتية لا ترحم ويظهر مفهوم التدمير ايضا بصورة مادية ملموسة في النص حيث تذكر ان بوابات المدينة ظلت مشرعة بعد ان فك العدو اقفلها، مما يدل على انهيار الدفاعات وفقدان السيطرة على المدينة، ويستعمل هنا تشبيه الامواج المتدفقة العاتية يعبر عن قوة العدو المدمرة التي وردت لتجرب كل شيء في طريقها كظاهرة طبيعية هائلة لا يمكن التصدي لها اما تشبيه اور بناء الفخار الذي تحطم بالسلاح فيعد من ابلغ الصور المستخدمة اذ يبرز هشاشة دفاعات المدينة امام هجوم العدو ويصورها كشيء ثمين ولكن هش، كانت لها قيمة جمالية ووظيفية ثم فقدت في لحظة كل شيء ويشير التحطيم الى فقدان الهوية والهيبة فالاواني الفخارية كانت جزءا من الثقافة المادية لسكان المدينة ويستعمل هذا التشبيه ليطفي على الدمار بعدا عاطفيا قويا يعبر عن انهيار الحضارة وانسحاق الحياه كما في النص الاتي:

.. في اور العدو اضطهدنا، آه لقد انتهينا

لقد فكوا مزاليج (اقفال) بواباتها، وها هي ما زالت مشرعة الى اليوم

واكتسحوها وكأنهم امواج متدفقة عاتية

فتحطمت اور بفعل السلاح مثلما يتحطم اناء الفخار

ان مرثية بلاد سومر واكد تؤسس لفهم عميق للخراب الذي حل في بلاد سومر ليس كنكسة بل كفعل تاسيسي لاعادة الولادة لاور المدمرة لتعود للظهور لا كحقيقه عمرانية بل كمعنى خالد في الذاكرة الدينية والادبية.

3- مرثية مدينة لجش[4]: تعد هذه المرثية من الجذور الاولى لمراثي المدن في بلاد الرافدين، ويعتقد بان المراثي البابلية هي صورة مستنسخة عن ادب النواح السومري ومصدره كهنة مختصين وهم كهنة الكالا، وتعود هذه المرثية الى كاهن سومري اسمه دنكر-دامو(dingir -da-mu)، وقد دونت على لوح طيني مسماري في عام (2440 ق.م) في مدينة لجش وتعتبر من اقدم القصائد المعروفة في التاريخ (ديورانت، 1961، صفحة 17) (شمار، 1981، صفحة 192)، وقد عثر على لوحها المسماري في وسط خرائب معبد مدينة لجش، ويضم اللوح الطيني المسماري على (105) سطرا (krecher, 1987–1990, p. 43) وتمثل اقدم نموذج معروف في ادب النواح او المراثي في بلاد الرافدين، وتعد هذه المرثية واحدة من النصوص المسمارية التي ركزت بشكل مباشر في وصف التخريب والتدمير ككارثة كونية ودينية، وتسبق هذه المرثية مراثي مدن اور ونفر وغيرها بنحو اربعة قرون مما يعزز فرضية ان التقاليد البابلية لاحقا في ادب الرثاء واللعن ما هي الا محاكاة لاسس سومرية قديمة وضعت منذ عصر فجر السلالات (2800–2371 ق.م).ويبدو ان سبب كتابة هذه القصيدة الشعرية هو ما نتج من تخريب ودمار لمعبد الاله ننكرسو في مدينة كرسو(تلو) في حدود (2550ق.م) من قبل مملكة اوما المجاورة لمدينه لجش، وقد حدث صراع كبير بينهما حول الحدود استمر قرابة القرن من الزمان حول الحدود ومياه الارواء والاراضي الزراعية، وقد روى لنا الملك انتمينا[5]،اخبار ذلك النزاع بين هاتين المدينتين في نص تاريخي مهم يعد اقدم تدوين تاريخي بالمعنى الصحيح لهذا المصطلح (باقر ط.، 1986، الصفحات 320–321). ويبدو ان المدينة خربت او سلبت باكملها وان القسم الاعظم منها دمر بالنار (King L. , 1916, p. 191) او ان الكاتب اراد ان يطفي صفه القداسة على مدينة لجش التي كان فيها كل شيء مرتبط بالالهة والعبادة وضرب هذه المدينة المقدسة هو ضرب للنواميس الالهية ولمركزيتها

(4) لجش: مدينة سومرية تقع على بعد 30 كم الى الشرق من مدينة الشطرة، واسمها الحديث الهباء او الهبة، وقد ضمت مدينتين رئيسيتين وهما سيراره (سرغل) وكرسو (تلو) وعلى الرغم من انها غير مذكورة في جداول الملوك السومرية الا ان هناك سلالتين حكمتا فيها وهما سلالة اور نانشة (2294– 2265 ق.م) وسلالة كوديا (2280–2109 ق.م) (بوسكيت، 1992، صفحة 134).

(5) انتمينا: حاكم مدينة لجش في العصر الذي سبق عصر سرجون الاكدي، وقد دام حكمه زهاء ثلاثون عاما (2429–2395ق.م) انظر: (رشيد ف.، 1997، الصفحات 23–27) (سلمان، 2008، صفحة 65).

DOI: https://doi.org/10.47831/gtqxdz70

العبادية بين المدن السومرية. وفي مطلع هذه المرثية يركز الشاعر على المجازر التي ارتكبها رجال مدينة اوما بحق سكان مدينة لجش ومعبدها المقدس.

...احرق رجال اوما اي-كي-كالا (E-ki-kala)[6]:

واحرقوا انتاسورا(Antasurra)[7]

واخذوا الفضة والاحجار الكريمة

وسفكوا الدماء في قصر تيراش (Tirash)[8]:

وسفكوا الدماء في معبد انليل، ومعبد اله الشمس

...واخذوا معهم الاحجار الكريمة

وسفكوا الدماء في أي-بابار(É.babbar)

وسفكوا الدماء في ابسو-ايكا(Abzu-Ega)[9]

وبعد هذه الكوارث التي فعلها رجال مدينة اوما بمدينة لجش ومعابدها توعد كاتب القصيدة ان مدينة اوما ورجالها لن تقوم لهم قائمة بما اقترفت ايديهم من سلب ونهب لمدينته المقدسة، فرجال اوما ارتكبوا الاثم تجاه الاله ننكرسو عندما اجتاحوا مدينة لجش ويجب ان يعاقبوا على هذا العمل كما جاء في نص القصيده:

...لقد اقترف رجال اوما خطيئة ضد الاله ننكرسو

بتدميرهم مدينة لجش

ان القوة التي اعطيت لهم ستزول...

ثم تصف المرثية حال الدمار والخراب وما الت اليه المدينة بعد ان اصبحت مدينة لجش مهجورة، ويتحسر ناظم المرثية مرة ثانية على الوضع السياسي والوضع الاجتماعي داخل مدينة لجش وعلى معابدها لان هذه المعابد دنست من قبل العدو.

... واسفاه ؟ان نفسي لتذوب حسره على المدينه وعلى الكنوز

واسفاه؟ ان نفسي لتذوب حسره على مدينتي كرسو(لجش)

وعلى الكنوز، ان الاطفال فيه كرسو المقدسه لفي بؤس شديد... (ديورانت، 1961، صفحة 18)

في هذا النص يجسد الكاتب الالم الجماعي في ضمير فردي، وهي تقنية مالوفة في الادب المراثي، اذ يمنح الحزن صوتا واحدا متكلما، يتحدث باسم المدينة ونيابة عن معابدها واطفالها، والطفل في هذه النصوص يمثل بريء الجماعة وبالتالي فان ذكر بؤس الاطفال يرمز الى مستوى الانهيار الكامل في البنية المجتمعية المقدسة.

ويبدو ايضا ان مدينة لجش تعرضت الى غزو خارجي من قبل العيلاميين الفرس واحدثوا فيها خرابا ودمارا، فقد اظهرت التنقيبات الاثرية مرثية اخرى لمدينة لجش نظمت على اثر احداث هذا الغزو، وضمت هذه المرثية 55 سطرا ولكن باسلوب رثاء صلاتي حزين يشبه رثاء غزو سومر من قبل الكوتيين (Langdon S. , 1919, pp. 270-271).

...آه مدينتي المدمرة، معبدي المدمر، بكيت بحزن، كم سيطول هذا؟ ...

سيرار(Sirar[10])، سكنها المحبوب، اطاح به الشر

مدينتي المدمرة، معبدي المدمر، بحزن انا بكيت، كم يطول(هذا)؟

اوقفت الطقوس الكهنوتية في الحجرة المظلمة المقدسة

كاهنها الاعظم، اخذ من الحجرة المظلمة، والى ارض العدو ذهب

آه مدينتي المدمرة، ومعبدي المدمر، بحزن انا بكيت، كم سيطول(هذا)؟ (Langdon S. , 1919, pp. 269-272)

---

(6) **اي-كي-كالا (É-ki-kala)**: ويعني بيت او معبد المكان الثمين وهو معبد لوكال بندا في كلاب. انظر: (George A. , 2003, p. 110).

(7) **انتاسورا(Antasurra)**: يعني بيت او معبد الذي يتلالا في السماء وهو معبد الاله ننكرسو قرب مدينة كرسو انظر: (George A. , 2003, p. 68).

(8) **تيراش(Tirash)**:وهو مزار يعني بيت تيراش بناه اورنانشة للاله ننكرسو انظر: (George A. , 2003, p. 1047).

(9) **ابسو-ايكا (Abzu-Ega)**: هو بناء يغلب عليه الصفة الدنيوية وله علاقة باله مدينة لجش كا-توم-دوك انظر: (King, 1916, p. 190)

(10) **سرارا (Sirar)**:مدينة في لجش وهي مقر الالهة نانشة والاسم الحديث زرغول(Zurghul) (بوسكيت، 1992، صفحة 140).

DOI: https://doi.org/10.47831/gtqxdz70

ان اسلوب هذه القصيدة هو اقرب الى التراتيل الدينية التي ترددها جوقة كهنوتية، والحجرة المظلمة تمثل مركز الحضور الالهي وغياب الكاهن عنها يعني ان الاله قد انسحب من معبده، مما يجعل المدينة منزوعة من مركزها المقدس وبذلك تصبح المدينة بلا اله، وغياب الكاهن الاعظم هو صورة لهزيمة ارادة المدينة الدينية تماما، كما ان اسر التماثيل لاحقا كان يعني اسر الالهة نفسها.

ثانيا: مرثية مدينة نفر: تعتبر مرثية مدينة نفر[11]، من النصوص الشعرية التي تمثل تبلورا ناضجا لمفهوم الخراب والدمار في اطار طقوسي وفكري، اذ يوظف الحدث بوصفه وسيلة لاعادة تعريف العلاقة بين المدينة والالهة وبين الملك وشرعيته. وقد كتبت هذه المرثية على الارجح في عهد الملك اشمي–دكان (1953–1935 ق.م) وهو احد ملوك سلاله ايسن الاولى، وتعكس القصيدة اساليب ادبية ماخوذة من التقاليد السومرية السابقة لسلالة اور الثالثة (Tinney, 1996, p. 81). ان مرثية مدينة نفر ذات طبيعة مزدوجة تعليمية دينية فهي تهدف الى غرس المفاهيم العقائدية لدى تلاميذ المدارس في مدينة نفر من خلال العلاقة بين الدمار الالهي والاصلاح ومن جهة اخرى فهي تعيد المدينة بوصفها كيانا يمكن ان يبعث من رماده بواسطة تدخل الهي وبواسطة الملك الورع. (krecher, 1987–1990, p. 43). في بدايه المرثية يتناول الكاتب حجم المعاناة الانسانية من جراء الدمار فهو ينقل احزان الذين فقدوا احبائهم ويعانون من انعدام الامن والاستقرار، والرجال الذين سقطت زوجاتهم والذين سقطوا اولادهم تظهر مدى الالم والخسارة التي تعصف المجتمع باسره، مما يجعل الدمار حدثا ليس ماديا فحسب بل يمس اعماق الناس ويهدم حياتهم الاسرية والاجتماعية (Tinney, 1996, pp. 81,and 84).

....انهم ينوحون على الصعوبات التي تقلقهم

الرجال الذين سقطت زوجاتهم، والذين سقط اولادهم

يرتلون آه يا مدينتنا المدمره؟

مدينتهم ذهبت ومنازلهم اخذت... (Tinney, 1996, pp. 96–99)

وفي النص الثالث من المرثية نجد احساسا عميقا بالاسى والمرارة تجاه مدينة تخلى عنها سيدها وغادرها وتركها الى مصيرها المجهول، وتصور هذه الابيات الشعرية المدينة ككائن حي يصرخ بمرارة، بعد ان ازيلت منها الطقوس، تلك الشعائر التي كانت تمثل نبض الحياة والمواصلة مع الاله.ومن هذه الابيات الشعرية ما ياتي:

....بسبب انه ازال جميع طقوسها منها، تصرخ صراخات مرة

سيد المدينة الذي اصبح غضبانا معها

كم من الوقت يستغرق ليعود اليها؟

وهل انه سوف لا يقول(واسفاه عليها)

ولماذا غير الطريقة في المبنى الأجري؟

جعل حماماتها الصادحة تطير بعيدا عن نوافذها

لماذا غادر الفرح المبنى الاجري؟

وقد ملا قلبها بالدموع ليلا ونهارا

المدينة ومعبدها دمرهما

طرق اسسها وخربها بالمجرفة... (Tinney, 1996, pp. 103–105)،

ويبرز النص المسماري العلاقة بين الاله والمدن حينما اصبح سيد المدينة غضبانا معها، هذا الغضب يؤدي الى تغيير عميق في المبنى الأجري، الذي يرمز الى استقرار المدينة وروحها، فخروج الحمامات من نوافذها يدل على رحيل السلام والبركة الذي كانت تحظى به المدينة وكأن طيور السلام هجرت المكان ليبقى موحشا بلا حياة، بالاضافة الى ان المدينة المدمرة باتت تغرق في الحزن والبكاء وقد ملا قلبها بالدموع ليلا ونهارا اذ لم تعد المدينة مكانا للفرح او العبادة بل مسرحا للالم.بل تصبح المدينة في حالة من الاغتراب والضياع بدون سيدها او طقوسها او حتى ابسط ملامح الفرح. وفي القصيدة الشعرية نجد الاله انليل يقرر تدمير العدو في مشهد يعكس تحول الدمار الى مشهد الامل والاحياء فيبدا النص بوصف المدينة التي تحولت الى اطلال ثم يشير الى عملية اعادة البناء والتجديد بفضل تدخل الاله انليل.

(11) نفر: تقع اثار مدينة نفر على بعد 35كم شمال شرق مدينة الديوانية، وامتازت هذه المدينة بمكانتها الدينية المقدسة لانها مركز عباده الاله انليل وزوجته الالهة ننليل ، وقد ورد اسم المدينة بالصيغة السومرية(EN.LIL=Ki NIPPUR KI) بينما جاء صيغتها الاكدية باسم(nippur): (باقر ط.، 1986، صفحة 27).

DOI: https://doi.org/10.47831/gtqxdz70

(مدينتكم التي محقت، وتحولت الى اطلال اعادوها... موادها البراقة التي تبعثرت، والتي دمرت.... انليل ملك كل البلدان اعادهم الى مكانهم) (Tinney, 1996, p. 119).

وفي ابيات اخرى من القصيدة نجد الملك اشمي–دكان يقوم بالصلاة وتقديم التحيات كوسيط بين الاله والشعب ويمثل اشمي–دكان دور القائد الذي يسعى لنيل رضا الاله واعادة السلام للمدينة بعد الخراب والدمار. وتعكس هذه الصورة القوة الدينية والسياسية التي تتجسد بشخصية الملك المتضرع لان العبادة هي جزء من وظيفته الملكية لضمان استقرار مدينته واعادة النظام لها لانه ممثل الاله في حكم المدينة كما جاء في النصوص التالية:

...والان انظر: بعد ذلك الوقت، الاله انليل الذي هو مليء بالشفقة

ان الطقوس التي دمرها العدو، اعاد تنظيمها مرة اخرى

طهر زقورته، وجعلها عظيمة له

اليوم تهدا القلوب، وتهدا الارواح وتتحسن الامزجة، اقامها هناك

اشمي–دكان وقف بنفسه في الصلاة وعرض التحيات... (Tinney, 1996, pp. 121–122)

في هذه الابيات الشعرية يبرز دور الاله انليل في اعادة النظام بعد مدة من الخراب والدمار، اذ يبرز الاله بشفقته مستجيبا لنداء مدينته بعد ان دمرها العدو واوقف طقوسها الدينية، حيث يبدا الاله انليل باعادة تنظيم تلك الطقوس اي اعادة الحياة الدينية للمدينة، لان هذه الطقوس هي جوهر الحياة الروحية والاجتماعية للمدينة وبدونها تعيش في حالة من الفوضى والخراب.

ثالثا: مراثي الالف الثاني قبل الميلاد.

1- مرثية مدينة الوركاء: الوركاء مدينة سومرية تبعد (30 كم) جنوب مدينة السماوة وهي واقعة على نهر الفرات، وقد استوطنت منذ عصر العبيد في الالف الخامس قبل الميلاد، وازدهرت بالعصر المعروف بعصر الوركاء(3500– 2800 ق.م) واستمر الاستيطان فيها حتى عهد السيطرة الفرثية (126ق.م– 224م) (بصمه جي، 1955، الصفحات 47–53). نظمت مرثية مدينة الوركاء في عهد الملك اشمي–دكان، وهي مزيج من الدلالات الدينية والسياسية وتعبر عن رغبة في ارضاء الالهة وخاصة الالهة ايناننا(عشتار) لجلب الازدهار والسلام لبلاد سومر، وتقوم المرثية حول دور الالهة ايناننا كالهة ام تشارك شعبها الامه وتبكي مصير المدينة المدمرة، مما يعكس علاقة الالهة مع المدينة في علاقة عاطفية تتعدى مجرد العبادة الرسمية ، وهذا التصوير يجعل الخراب حالة مؤثرة ومريرة، فالخسارة لا تؤثر على البشر فقط بل تمتد الى الكيانات الالهية التي تعتبر نفسها جزءا من نسيج الحياة في المدينة (Langdon S. , 1919, pp. 272–273).

وتصور المرثية قرار الالهة بتدمير الجنس البشري بسبب افعاله التي ازعجت الالهة، وتظهر عمق الرابطة بين البشر والالهة في الفكر السومري، هذا التصوير يعكس فكرة ان الالهة رغم عنايتها بالبشر قد تتخذ قرارات حازمة، عندما ترى ان التوازن الكوني مهدد نتيجة للضوضاء وفوضى البشر الذي ازعج نوم الالهة، وهو تصوير مجازي لقلة احترام البشر للقيم والنظام الكوني، مما يفسر عقوبة الخراب كاعادة ضبط للانسجام المفقود. **كما في النص التالي:**

(.. للسماء والارض... طقوسهم... رقدت... عندما انجز الالهة قرارا خطيرا... كل الالهة العظيمة على ضخامتها شحب لونها.. لما حدث... (Green M. , 1984, pp. 265–266)

ثم تشير القصيدة الى اعلان الاله انليل الحرب والتدمير من خلال فيضان مرعب

...مد يده، وجلب الرعب الى المكان

وقد ضرب الاله انليل بقوة، واعلن

بان فيضانا مدمرا سوف يحدث

وحرب؟ سوف تكون تجاه.. وستكون في الخلف ازالة

وسيعم النهب، وان خلفها سوف تنشب فيها النار...

وتشير هذه الابيات الى قرار الاله انليل باستعمال القوة المدمرة حيث مد يده وجلب الرعب الى المكان مما يجسد قدرة الاله على اشاعة الخوف بين الناس، وتشير هذه اليد بمثابة وسيلة للتحكم في مصير البشر والمدن وجلب العقاب الالهي من خلال حدوث فيضان مدمر وحرب وهي رمز للتحولات الكارثية التي تهدد بطمس هوية المدينة ومن ثم اعادة تشكيلها .

...ثم يخلق طائرا عظيما قادرا على التدمير

DOI: https://doi.org/10.47831/gtqxdz70

سيكون بريق عينيه متالقا، ويبرق مثل طير انزو[12]
فمه سيكون عملاقا، والاشمئزاز واسع كالجحيم
كلامه سيكون، يمطر جمرا تقطع البلاد
واجنحته ستكون مثل طائر انزو، اذ لا شيء يستطيع الهرب
واضلاعه ستكون عتلات تجعلها تنفذ كما تنفذ اشعة الشمس
مشدودة في كل الوركين، احجار مقلاع تدمر المدينة

ومن شدة القوة المدمرة لهذا الطائر الذي يدمر كل شيء نقرا في هذه القصيدة:

.. تعال دعنا نراقب المدينة تعاني الحرب والمعركة
لنرى كيف ان المنطقة المقدسة قد دمرت
ونرى كيف ان الاسوار تحطمت
ونرى كيف انهار سلام المدينة.. (Green M. , 1984, pp. 269-271).

ثم تذكر القصيدة الالم الناتج عن فقدان العناصر الاساسية لوجود المدينة، كالروح والهيكل والانسانية وتكرار عبارة واحسرتاه الذي يظهر مستوى الحزن والياس المرتبط بالخراب، وكأن الرثاء نفسه يعكس حزن المجتمع على مصيره.

اه يا سومر؟ واحسرتاه. روحك واحسرتاه- هيكلك.
بعد تعيين محلها، سوف تدمر المنطقة المقدس
ان اعلان الاله انليل وضع موضع التنفيذ
الفيضان المدمر... العظيم والعنيف، الاله نركال... (Green M. , 1984, pp. 269-271).

ويتحول الدمار من مجرد قرار الى فيضان يضرب بلاد سومر بحيث ان الاله نركال اله العالم السفلي والمعروف على قوته كرمز للدمار الذي يفوق الوصف، وتؤكد ان الكوارث وسيلة لتاكيد السلطةالالهية فظهور الاله نركال كاداة للتدمير المطلق مما يعكس العقاب الالهي الشامل للمدينة كما في النص.

...دمروا المستوطنات والقرى، ومحوها وحولوها الى قطع
ان معظم سومر، تفرقوا مثل الغبار(كوموا)
ذبحوا شعبهم وانهو الصغار والكبار على حد سواء (Green M. , 1984, pp. 271-273).

ويصف هذا المشهد الخراب الشامل الذي تعرضت له المستوطنات والقرى للتخريب ولم يترك منها سوى بقايا متناثرة في التراب ويستعمل عباره تفرقوا مثل الغبار يرمز الى الشتات والياس المطلق اذ لم يعد للسكان مكانا امنا وكان الارض نفسها رفضتهم. ان هذه الصورة القاسية تشدد على مستوى العنف الذي طال الكبار والصغار على حد سواء مما يضيف بعدا مريرا لفكرة الدمار المتعمد والشامل.

2- مرثية مدينة اريدو[13]: تضمنت مرثيه اريدو 280 بيتا من الشعر وبواقع ثمانية مقاطع مع وجود نواقص كثيرة نتيجة الكسر الذي حدث في النص اذ لا يتعدى المتبقي منها 148 بيتا. ان مرثية مدينة اريدو تختلف عن مراثي نفر والوركاء بشكل واضح، وخاصة غياب اسم الملك المسؤول عن اعادة اعمار المدينة، مما يعكس عدم التاكيد على شخصية ملكية واحدة كرمز للامل او الاستعادة، ان غياب اسم الملك قد يشير الى طبيعة مختلفة للمرثية او قد يعكس ظروف تدوينها التي قد تكون اقل تاثرا بالسلطة الملكية المباشرة. ويبدو ان تاريخ المرثية يعود الى عهد الملك اشمي-دكان (1953- 1935ق.م) حاكم مدينة ايسن او الى ملك لارسا نور- ادد (1865-1850ق.م) وهي تعكس الاهتمام في تلك الحقبة باعادة البناء بعد الكوارث والنزاعات، لان المراثي وسائل دينية لترسيخ التضامن الديني والاجتماعي وتجسيد المحن كوسيلة للتحفيز على الترميم. وتشير الابيات الاولى من المرثية الى كيفية الانقضاض على مدينة اريدو وتقدم القوة المهاجمة التي رمز لها بعاصفة التدمير العنيفة التي تدمر المدينة ومعابدها.

---

(12) انزو:هو الطير الوحشي ويرادفه باللغة السومري امدكود، ويصور مثل طير له رأس اسد وحجم ضخم، كما ان حركة جناحيه تسبب العواصف. انظر: (Black & Green, 1998, p. 107).

(13) مدينه اريدو تعرف محليا باسم ابو شهرين وتقع الى الغرب من مدينة الناصرية بحوالي40كم، وهي واحدة من اقدم المدن السومرية التي استوطنت في الاقسام الجنوبية من بلاد الرافدين في عصور ما قبل التاريخ ، واول المدن الخمس التي هبطت فيها الملوكية قبل الطوفان، وهي مركز عبادة الاله ايا (انكي) اله الحكمة والمعرفة والمياه. (باقر ط.، 1986، الصفحات 223-224).

DOI: https://doi.org/10.47831/gtqxdz70

.... المدينة– كان آن لعنها، دمرها لوحدها

كان انليل قد نظر بغضب اليها، اريدو معبد ابسو انحنى بقوة[14]

آه خراب المدينة، خراب المعبد، بكت بمرارة... (Green, 1978, pp. 133–135)

وفي ابيات اخرى من المرثية نجد اسباب التدمير الطبيعي للمدينة هي العاصفة كناية عن الغزاة، اذ احاطت باسوارها الخارجية وقلبت اسسها، عابرة عن طريق بوابة المدينة الرئيسة التي كانت مرتفعة كالزاقورة وقطع قفلها وحطم مزلاجه واشعل النار فيه.

.. زقورتها، المعبد الذي يصل الى السماء تحولت الى كومة من الانقاض

بوابتها، زقورة السماء والارض العظيمة تغطت بكومة من النار

قطعت بوابتها اللامعة، وتحطمت في مزلاجها

خلعت اطار بابها، والمعبد ازيل من الارض

آه، خراب اريدو، خرابها كان كبيرا... (Green, 1978, pp. 133–135)

ثم تستمر المرثية في وصف الدمار بتشبيهات بلاغية تعبر عن الحزن الذي مثله طيور المدن المدمرة كالحمام التي غادرها، لان المنطقة اصبحت محفوفة بالاشواك البرية وهي كناية عن العدو الخارجي، ثم يصف الغزاة السوباريين والعيلاميين الذين لم يتركوا شيئا دون تدمير.

...طائر المدن المدمرة...

طائر النوم، طائر حزن القلب الآلم

(المنطقة؟) اصبحت مخنوقة في اشواك برية

.. السوباريون والعيلاميون المدمرون نظروا اليها.. (Green, 1978, pp. 133–135)

ثم يستمر نص المرثية في وصف المدن التي حطمها الاله

...السيد mullil ملك كل البلاد[15]

نظر بشر على سومر، دمرها

دمرها كر(kiur) المكان العظيم

محق كل من في معابدها المشرقة

دمرها، لكنه لم يهجرها

عند الاصيل، في قدس اقداسه ينادون باسمه

اورو(Aruru) [16] شقيقه موليل(mullil)

في كيش[17] مكان ولاده البلاد

راى الناس داخل حرمها المقدس، اذ ضوء النهار غير معروف

دمرتها، لكنها لم تهجرها

عند الاصيل، في قدس اقداسها ينادون باسمها،

السيد ننا(Nanna)

دمر مدينته اور

اهلك البلاد بالجوع

ارتكب تدنيسا ضد ايكش نوكال(Ekisnugal)[18] وخربها على قلبها

دمرها، لكنه لم يهجرها

---

(14) ابسو: وهو معبد الاله انكي في مدينة اريدو ومعناه بيت مياه العمق. انظر: (رشيد ف.، 1980، صفحة 231).

(15) Millil: هي ترجمة لاسم الاله انليل في لهجة امسيل (Emesal) السومرية. انظر: (Cohen, 1974, p. 31).

(16) اورو: وهي الالهة التي خلقت البشرية بالاشتراك مع الاله مردوخ انظر: (اندريه، 1977، صفحة 70).

(17) مدينة كيش: مدينة كبيرة في شمال بلاد سومر وهي مقر السلالة الاولى بعد الطوفان وتعرف حاليا باسم تلول الاحيمر. انظر: بوستيكيت، نيكولاس،1992، ،ص134.

(18) **ايكش نوكال(Ekisnugal)**:وهو معبد الالهة ننا في مدينة اور انظر: (George A. , 2003, pp. 114,no.653)

DOI: https://doi.org/10.47831/gtqxdz70

...دمرت مدينتها الوركاء... (Green, 1978, pp. 133-135)

ثم تشير المرثية الى عودة الاله انكي الى مدينته اريدو ومن ثم اجراء اصلاح المدينة بعد الدمار الذي حل فيها

3- مرثية مدينة بابل: ارتبطت هذه المرثية باحد الالهة الجزرية ارتباطا مباشرا وهو الاله ايرا والذي له علاقة مباشرة بالموت الذي هو احد وظائفه الاساسية، وقد عد ابنا للاله انو والالهة ايرشكيكال ، وكان يعبد في مدينة كوثا ، وهي مركز عبادة الهة الاموات وقد كانت له مكانة بارزة وسط الهة العالم السفلي (Wiggerman, 1992, p. 217) وكان ايرا يعرف ايضا بوظائفه كاله للحرب اي محارب الالهة لهذا تبرز صفة الخراب والدمار كجزء من شخصيته اذ يجلب الامراض الفتاكة وعلى راسها الطاعون كتعبير عن غضبه العنيف واشاعة الرعب والفوضى ،كما وصف في كونه اله الاضطرابات والتمرد والهجمات (Leik, 1991, p. 140).

...سوف اضع نهاية للبلاد، واجعلها في عداد الاطلال

واجتاح المدن، واحيلها الى قفر واحطم الجبال، واقضي على ماشيتها

ساهيج البحار، وادمر ثرواتها، واحفر احراش القصب والقبور

واحرقها مثل (كيرا) اله النار ساصرع الناس ولا اترك نفسا واحدة

ساجتاح القصبات والغابات واحرقها... (لابات، 2013، صفحة 40) (سوسه، 1986، صفحة 408)

لذا حمل الاله ايرا لقب سيد القرار والدمار، وهو ما يعكس جوانب قوته المدمرة وتاثيره الحاسم في العالم السفلي وفي الحياة اليومية للبشر ويعتقد ان تاثير ايرا يمتد الى الفضاء الطبيعي والاقتصادي اذ يرتبط بالجفاف وتدمير الحقول الزراعية ويعرف بالاله المجفف لحقول الزراعية اذ كان يتحكم في فيضان الجداول التي تغذي الاراضي السهلية ليعكس بذلك قوته التدميرية كعقوبة محتملة للبشر عن طريق التجفيف (Karlsson, 2013, p. 294).

وتعتبر ملحمة او مرثية ايرا من النصوص الادبية البابلية القديمة والتي تعكس التفاعلات بين الانسان والالهة في سياق مفهوم الخراب والدمار ،وعنوانها من مقدمتها قصيدة عن مصير البشرية التي يرويها الاله ايرا وايشوم، وتتكون هذه القصيدة من عده مقاطع وتتناول قصة تتعلق باله الحرب ايرا وصراعه مع اله اخر يسمى ايشوم وتتناول هذه القصيدة جوانب مختلفة من الخراب والدمار (George A. , 2013, p. 39)، فقصيدة ايرا وايشوم (Erra and Ešum) تتكون من خمسة الواح مجموع اسطرها 800 سطرا وهناك حوالي 265 سطرا غير مكتمل وخاصة من اللوحين الثاني والثالث اما اللوح الثالث فهم مقسم الى ثلاثة اجزاء وعدد اسطره قد يكون 224 سطرا (Wisnom L. , 2014, p. 39). تبدا القصيدة او الملحمة بين ايرا وايشوم، اذ يسعى الاله ايرا الى احداث الدمار والفوضى في الكون، وهذا يعكس مفهوم الخراب والدمار كقوه تاتي من الالهه نفسها فيتصرف الاله ايران بشكل عدواني محدثا الاضطراب في النظام الكوني (Kvanvig, 2011, p. 159)

...قال ايشوم، خادم ايرا

حان الوقت يا سيدي، لا تتردد في النزول الى الارض

الفوضى تنتظرك والخراب يشتاق الى ان تتحرك يداك

الشعب يرزح تحت ثقل السلام، لقد نسوا طعم الحرب والصراع

وهذا هو الوقت المناسب لاعادتهم الى الطريق الصحيح (Foster, 2005, p. 33).

في هذا النص نقرأ دعوة ايشوم خادم الاله ايرا سيده للعودة الى الارض ونشر الفوضى والخراب فيها، ويظهر من النص الحافز الرئيس لتلك الدعوة هو ان السلام اصبح عبئا على الشعب الذي نسى طعم الحرب والصراع، ويشير ايشوم الى ان الوقت قد حان لايرا ليعيد التوازن عن طريق اثارة الفوضى، ويحمل النص في طياته تصورا للعقاب الالهي المتمثل في الحرب كوسيلة ضرورية لاعادة الناس الى الطريق الصحيح مما يعكس الفهم العميق للخراب في النظام الكوني وفق الاساطير القديمة.ان الخراب والدمار يجعل الناس تعاني من نتائج افعال الاله ايرا بسبب الفوضى التي تشعلها الالهة ويعكس ذلك النزاع الالهي واثره على حياة البشر مما يسبب لهم معاناة كبيرة.

.... ايرا الجبار الذي لا يقهر. وقف في وسط المعركة،

ورفع سيفه المشتعل النيران التهمت السماء والارض

اهتزت تحت خطاه، المدن العظيمة التي بناها البشر

سقطت تحت وطاة غضبه،فامتلات الارض بالصراخ والدماء... (Dalley, 1998, p. 45)

ان الخراب يتجاوز التدمير المادي ليصبح تعبيرا عن اختلال في ميزان الوجود فايرا الجبار الذي لا يقهر لا يصور كفاعل فردي بل كمطلق يجسد الغضب الالهي المتساوي عن الزمان والمكان، ورفعه للسيف المشتعل لا يرمز للقتال فحسب بل هو اشهار لاداة

DOI: https://doi.org/10.47831/gtqxdz70

التطهير بالنار تلتهم السماء وترتجف الارض في محاكاة رمزية لارتداد العناصر على ذاتها فالمدن العظيمة بصفتها ذروة الفعل البشري الحضاري تسحق تحت وطاة الغضب الالهي مما يؤكد على هشاشة البناء الانساني امام جبروت الالهة، والدماء التي تملأ الارض دليلا على انفجار النظام الى فوضى عارمة اذا تحول الصراخ الى صوت الوجود المنهار ان هذا التدمير والخراب ليس عشوائيا بل هو فعل تاديبي لوظيفة تطهيرية من قبل الالهة من اجل اعادة الحقول الرمزية من خلال اجتثاث الفائض الحضاري الذي جاوز حده (Ponchia, 2013, pp. 20,72)، ثم يسلط الطاعون والامراض على البشر والحجر ليحدث الدمار والخراب والابادة فيهم.

... مثل النار التي لا يمكن اخمادها

انطلق الوباء من قوس ايشوم ليحصد ارواح البشر

لم ترحم الرياح العاتية مدنهم ولا قراهم

الناس فروا من بيوتهم التي اصبحت قبورهم

ولم يبق شيء سوى الرماد والخراب.. (Black J. , 2004, p. 88)

في هذه الابيات نجد الاله ايرا المعروف بقوته الهائلة التي لا يمكن قهرها يرفع سيفه المشتعل الذي يرمز الى قوته، بينما النيران تلتهم السماء في تجسيد للقوة الالهية العظيمة، وهذا دليل على تاثيره الساحق على العالم المادي المتمثلة بالمدن العظيمة التي هي انجازات البشر والتي تنهار تحت غضبه المدمر وينتهي المشهد بحالة من الفوضى والصراخ والدماء تملا الارض ثم سلطت كوارث الطبيعية على البشر ليذيقهم العذاب ويجعلهم كالعهن المنفوش اذ ورد فيه.

... الجبل اهتز والسماء تلبدت بالغيوم السوداء

البحر تراجع الى اعماق، وارتفعت الامواج مثل الجبال

الرياح العاتية اجتاحت المدن

لم يبق بيت قائم ولا حجر في مكانه

والسماء لم تعرف السلام بعد الان... (Elish & Alexander, 1942, p. 67)،

في هذا النص صور قوة الدمار الطبيعية التي تجتاح العالم واهتزاز الجبل يشير الى زلزلة الارض بينما تلبد السماء بالغيوم السوداء يرمز الى الظلام والكارثة التي تلوح في الافق، والبحر الذي عادة ما يكون رمزا للحياة والاستقرار يتراجع الى اعماقه فيما ترتفع الامواج لتشكل جبالا من المياه العاتية كما ان الرياح العاتية تكتسح المدن وما يشير الى عدم وجود ماوى او حماية فالبيوت تتلاشى والحجارة تتناثر والسماء لم تعد تعرف السلام مما يشيروا الى حالة الفوضى والخراب والدمار اصبحت الحالة الطبيعية للعالم، وقد انهار النظام القديم تماما. ثم سرعان ما يتحرك الندم والتراجع لدى الاله ايرا ويعمل على اعادة النظام الى الكون مما يعكس مفهوم التجديد والعودة الى الحالة الطبيعية بعد مدة من الدمار.

... بعد الخراب العظيم، ندم ايرا على افعاله

تحدث الى ايشوم قائلا:

لقد دمرنا الكثير، ربما حان الوقت للتراجع

دعنا نعيد بناء ما تهدم، ونمنح الارض فرصة للتنفس،

فربما يعيد ذلك التوازن الذي فقدناه.. (George A. , 2003, p. 13)

ويظهر النص لحظة ندم الاله ايرا بعد الدمار الهائل الذي تسبب به . فيتحدث ايرا الى خادمه ايشوم معترفا بانهم تجاوزوا الحد ودمروا اكثر مما ينبغي، ويعبر عن رغبته في اصلاح ما تهدم والتراجع والرغبة في اعادة البناء واعطاء الارض فرصة للراحة والتعافي، فالفوضى رغم قوتها التدميرية لابد ان يعقبها استعادة النظام واعادة ما دمر وخرب، ان هذه المرثية تشير الى سقوط بابل وهي دلالة على احداث سياسية تؤرخ لهذه الفترة بشكل اسطوري.

... انت تتجولين, تبحثين عن ما يخصك بين الناس

سلاحك قد تم رفعه ووجهوه نحو قلبه

في مدينة شوآنا، اذ الجميع متجمعين، تتحركين بينهم

المسارات المائية في بابل، التي تدار مثل القصب الجاف، تنحرف تجاهك

لقد شاهدوا كيف سقط جيشهم، كيف تم التخلص من اسلحتهم

ملك بابل فقد عرشه، وملابسه تمزقت كالنهب الذي يقع على يد العدو

DOI: https://doi.org/10.47831/gtqxdz70

الجميع ينظر الى السقوط

انت تواجهين الشر اينما كنت في هذه المدينة التي قد ارسلتك اليها

لا ترددي في اتمام ما ارسلت لانجازه الليل والنهار يتجمعان في الظلام

رغم ذلك، لا تتراجعي، ولا تتوقفي... (Kennedy,H & ed, 2013, p. 55)

ويصور النص تصوير رمزيا لسقوط مدينه بابل، وكان سقوطها جزءا من صراع كوني يتجاوز الواقع المادي ويستعمل الصور مثل السلاح الموجه نحو القلب والمسارات المائية التي تدار مثل القصب الجاف، ويروج بان الدمار ليس مجرد نتيجة للحرب بل هو حتمي ومرتبط بالقوى الالهية او القدر. ويشير النص ايضا الى انهيار الجيش وكيفية التخلص من الاسلحة مما يرمز الى انهيار القوة العسكرية والسياسية لمدينة بابل وسقوط ملك بابل وفقدانه لعرشه هو اشارة مباشرة الى انهيار السلطة التشريعية الملكية والتفكك السياسي في مدينه بابل، في حين ان تمزق ملابسه يرمز الى اهانة وسقوط رمزي له امام شعبه واعدائه على حد سواء، ان هذا الدمار لمدينة بابل لم يكن مجرد نتيجة صراع سياسي او عسكري بل هو تجسيد لقوى اكبر تعمل بيد محركة للاحداث المرئية بهذا الشكل تصبح ذات طابع اسطوري على السقوط التاريخي لمدينة بابل ويعكس كيفية تفسير الناس للاحداث الكبرى في ضوء الصراع بين الخير والشر والنظام والفوضى (Wisnom S. , 2019, p. 286)، وتعكس هذه المرثية كيف يمكن ان يكون الدمار قوة من قوى الالهة نفسها .وتظهر هذه القصيدة تاثير الصراع الالهي على البشر وكيف ان التدمير الذي تسببت به الالهة ادى الى معاناة كبيرة للبشر ويظهر ايضا كيفية ارتباط القوى الالهية بالواقع البشري وتاثيره على حياه الانسان بعد مدة من الفوضى والخراب والدمار يسعى الاله ايرا الى اعادة النظام وتجديد الكون مما يعكس مفهوم ان الدمار ليس نهاية المطاف بل يمكن ان يتبعه تجديد وتوازن للقوى الالهية من جديد فالقصيدة تعالج مفهوم الدمار عن طريق تقديم صراع بين الالهة وتاثيراته المدمرة على العالم والبشر وتظهر القصيدة كيف يمكن ان يكون الدمار قوة الهية ذات تاثيرات واسعة وكيف يمكن ان يتبعها تجديدهم واعادة النظام.

4- مرثية مدينة أكد(لعنة أكد): شهدت الإمبراطورية الأكدية أوج مجدها في عهد سرجون وخلفائه حين توسعت رقعتها لتشمل عموم بلاد الرافدين وأجزاء واسعة من الشرق الأدنى القديم. غير أن هذا المجد لم يدم طويلا، إذ سرعان ما انهارت هذه الدولة تحت وطأة سلسلة من الكوارث البيئية والاضطرابات الاجتماعية، فسرت حينها على أنها لعنة إلهية أنزلتها الآلهة على مدينة أكد هذا التفسير الكارثي يجد صداه في النص الأدبي المعروف باسم "لعنة أكد"، وهو من أبرز النصوص السومرية التي صاغت تصورات الدمار في ضوء العلاقة المتوترة بين الإنسان والآلهة. يصور النص كيف أن نرام- سين حفيد سرجون قد تجاوز حدود السلطة الممنوحة له، متعديا على المعايير الدينية التي تحفظ التوازن بين العالم البشري والإلهي. فبسبب غطرسته وتحديه لمشيئة الإله إنليل، سقطت المدينة فريسة لغضب الآلهة. النص يستهل بالحديث عن البهاء والازدهار الذي نعمت به أكد في عهد سرجون، أذ "منح إنليل السيادة لسرجون على الأقطار العليا والسفلى"، فيما كانت "الإلهة إنانا تقيم في المدينة وتحميها" ، مما أكسبها رخاءً سياسيًا وتجاريًا جعلها قبلة للأمم والملوك.غير أن هذا الوضع تبدل في عهد نرام- سين فقد أقدم على انتهاك قدسية معبد إيكور(É-kur) في نفور، وهو معبد الإله إنليل، مما عُد في المفهوم الديني جريمة كونية تستوجب العقاب. يذكر النص:

.... وكرجل جبار اعتاد على عمل متغطرس

وضع اليد على إيكور، وصنع فؤوسا كبيرة،

وسن فؤوسا ذات حدين من أجل الدمار... (Kramer S. , 1969-A, pp. 648-649).

يُظهر هذا النص كيف أن فعل التدمير لا ينبع فقط من القوة الجسدية بل من نية مبيتة للخراب، مقرونة بالغطرسة البشرية. التعدي على معبد إيكور (بيت الإله إنليل في نفر) ليس مجرد عمل عسكري، بل تجاوز وجودي على رمز النظام الإلهي الفأس ذات الحدين ترمز إلى الاستعداد المزدوج للهدم والقتل، وهي تمثل أداة مزدوجة الأثر : تدمير للعمارة المقدسة وقتل للقدسية ذاتها المفردات توحي بأن الفعل المدمر ليس عشوائيًا، بل متعمَّداً، وموجها ضد المؤسسة الإلهية، ما يضع مرتكبة في موضع العصيان الكوني. ويمضي النص في رسم مشاهد الهجوم على المعبد:

... غدا البيت مدمرا مثل رجلٍ قُتل في المعركة،

حطّم عضائد أبوابه، وقضى على خصوبة أرضه،

قطع الحبوب من أعماق أرضه... (Kramer S. , 1969-A, pp. 648-649).

في هذا الوصف، يتحول المعبد إلى جسد جريح، كما تُشبه المدينة برجل قُتل في ساحة المعركة. هذه الاستعارة تعكس الترابط بين البناء والعنصر البشري؛ إذ يُدمر المعبد وكأنه كائن حي. تحطيم الأبواب يعني كسر الحواجز بين المقدس والمدنس، في حين أن القضاء على الخصوبة وقطع الحبوب" يمثل موتا زراعيًا، أي موت النظام المعيشي التدمير هنا لم يقتصر على البنية الحجرية بل

DOI: https://doi.org/10.47831/gtqxdz70

شمل النظام البيني والمعيشي، مما يعكس الشمول الوجودي لفعل الخراب. وهنا تبدأ مرحلة العقاب الإلهي. فقد اجتمع مجلس الآلهة، المؤلف من ثمانية آلهة عليا، وقرّر إنزال اللعنة على أكد وتحولت اللعنة إلى فعل تنفيذي أدى إلى تدمير المدينة، كما دمرت نفر من قبلها. تتجلى هذه اللعنة في لغة ملغمة بالتهديد والخراب:

... يا أكد من تجرأت على الانقضاض على إيكور،

فعسى أن يتعالى الندب والبكاء في أرجائك...

عسى أن يتحول أجرك الطيني إلى حالته الأولى في الماء،

وليحوله إنكي إلى آجر ملعون، ولتحل بك لعنة ننلدو(اله النجارة)...

في هذا النص ينتقل النص من توصيف الفعل التدميري إلى العقاب الإلهي الناتج عنه. يرتكز العقاب على فكرة التفكيك: "تحول الطين إلى حالته الأولى في الماء" هو تفكيك لعنصر الخلق ذاته، أي عودة المدينة إلى ما قبل التكوين هذه العودة العكسية للمادة إلى أصلها تمثل انقلابًا على الوجود، أذ يُسلب من البناء قوامه وكينونته. هذا يعني أن العقاب لا يكون بالقتل فقط، بل بنزع صفة "المعمور" عن المكان، ووصمه باللعنة والنبذ التدمير في هذا السياق ليس انهيارًا فحسب، بل إبطال لفعل الخلق، وهو أقصى ما يمكن أن تبلغه اللعنة. ثم تمضي القصيدة في وصف آثار اللعنة من الخراب الزراعي إلى التفكك الاجتماعي، إلى المجاعة، في رمزية واضحة لانقلاب النظام الكوني نتيجة خلل الإنسان وغروره:

... عساك تذبحين زوجاتك بدلاً من ثيرانك المذبوحة

وتذبحين أبناءك بدلاً من نعاجك

عسى أن يفارق أقوياؤك قوتهم،

ويهلك القحط والجوع أهلك ... (Kramer S. , 1969-A, pp. 648-649).

يصف هذا النص تأثير التدمير على البنية الاجتماعية. يتحول المجتمع من حالة الوفرة إلى حالة القحط، ومن طقس الأضاحي الديني إلى سفك دماء أفراد الأسرة. هذا التحول الرمزي يعكس انهيار المعايير والقيم، أذ يستبدل المقدس بالمدنس، وتنقلب وظائف الطقوس إلى عكسها ذبح الأبناء عوضا عن النعاج يمثل انحلال النظام الأخلاقي والديني. إنه انهيار منظومة الحياة المتحضرة، ودخول في فوضى وجودية تحيل المجتمع إلى صراع بقاء بدائي. وفي خاتمة النص، يعمد الناظم إلى تأكيد أن اللعنة قد تحققت وأن المدينة لم تعد سوى خرائب ينعق فيها الصمت.

... طرق قواربها لم تنبت عليها سوى الحشائش الضارة،

ولم ينبت في طرق عرباتها سوى النبتة الباكية

وفوق ذلك لا يمشي إنسان على طرق سحب سفنها ومراسيها... (Kramer S. , 1969-A, pp. 648-649).

يرسم النص صورة بصرية بديعة للدمار الصامت. النبات الباكي (غالبا) يُرمز به إلى نبات الطلح أو الأثل ذو الدموع (الصمغية ينبت أذ كان يعج المكان بالحركة والتجارة مما يدل على التحول من الصخب الحضري إلى الصمت المقفر غياب البشر عن الموانئ والطرقات لا يعني فقط الهجرة، بل موت الحياة الاجتماعية. هذه النهاية تمثل ذروة التدمير، إذ لا تبق للمدينة ،وظيفة، ولا للطرق حركة. إنها النهاية الرمزية لعالم بأكمله، أذ التدمير لا يطال الحجر والتراب فقط، بل الزمان والمصير. يُعد هذا النص مثالاً نموذجيًا لتصوّر التدمير في أدبيات بلاد الرافدين أذ يُفهم الدمار لا بوصفه حدثًا عرضيًا بل فعلا إلهيًا مقصودًا ناتجا عن اختلال العلاقة بين السلطة الأرضية والإرادة السماوية. فبحسب هذه الرؤية، فإن الكوارث لا تنشأ من الفراغ، بل تتأسس على منطق ديني – كوسمولوجي ينص على أن خيانة النظام المقدس تستدعي بالضرورة إعادة ضبط الكون عبر التدمير. وهكذا، تتجلى "لعنة أكد" بوصفها أكثر من مجرد نص تأريخي، بل هي وثيقة فكرية تصور المآسي الجماعية كوسيلة إلهية لاستعادة النظام بعد تجاوز الإنسان للحدود التي رسمت له.

الاستنتاجات

1- من الناحية التاريخية يعد ادب رثاء المدن في بلاد الرافدين من اقدم الانماط الادبية المسمارية التي ظهرت في الالفية الثالثة قبل الميلاد، وقد تميز هذا النوع الادبي باسلوب ذو محتوى ديني هام خاص فيما يتعلق بمراثي المدن المدمرة التي تصور دمار الحواضر الكبرى بوصفه حدثا كونيا يستدعي الحزن المنظم والوساطة الالهية.

DOI: https://doi.org/10.47831/gtqxdz70

2- ان المراثي تقدم المدينة لا كحيز عمراني فقط بل كموقع مقدس فيه النظم السياسية والدينية وحين يتعرض هذا الكيان للدمار فان ردة الفعل لا يكون من خلال التوثيق التاريخي فحسب بل من خلال شعيرة جماعية، وتفتح المجال لاعادة بناء الهوية المجتمعية الوطنية.

3- الفقد لا يرثها بنصف خساره بل يعاد ترميزه جينيا بوصفة لحظه تحول كوني وبذلك تجسد مراثي المدن في بلاد الرافدين الصيغة فريدة من الادب الديني .

4- تتداخل الوظيفة الشعرية في القصيدة الشعرية مع الخطاب الديني وتتحول الكارثة الى لحظة للتأمل الجماعي واعادة التوازن بين الالهة والمدن والناس.

5- تبرز المراثي مشاهد مأساوية لانهيار المدن التي كانت مركزا دينيا وسياسيا هاما بقوى خارجة عن القانون تجسدت باشكال مختلفة منها العاصفة والفيضانات والاوبئة والامراض.

6- يعتبر الاله انليل اله العاصفة في بلاد الرافدين هو المسؤول الاول في قرار انزال العقوبات الالهية للمدن في بلاد الرافدين نتيجه لخطايا بشرية او ربما تجاوزات سياسية او دينية.

7- تظهر المراثي نتائج العقوبات الالهية من منظور بشري مباشر اذ لا تفرق المجاعة والنار والاوبئة والفيضانات والامراض بين قوي وضعيف او بين الاطفال والكبار.

8- تشير المراثي في بلاد الرافدين الى مغادرة الالهة لمدنها المعاقبة كاجراء احترازي، مما يؤدي الى فقدان المدينة الحماية السماوية، وانهيار النظام الكوني الذي كان يضمن استقرارها لان تخلي الالهة لا يمثل مجرد انسحاب رمزي وانما يجسد شعريا لحظة الانفصال بين المدينة ومركزها الروحي فتتحول المدن بلا الهة الى كيانات هشة مستباحة امام الغرباء بلا دفاع لا في السماء ولا في الارض وهذا الانسحاب يمثل اعلانا ضمنيا بانتهاء عملية الحماية الالهية ويحول المدن المعاقبة الى كومة من رماد لا قيمة لها في المنظور الكوني.

9-تشير المراثي الى تعطيل العلاقة بين الانسان والنظام الالهي حيث يحل الخراب مكان البناء والاعمار ولا ينظر الى الخراب كفاعل بشري بل الى مشيئة الهية.

10-تصور مراثي بلاد الرافدين في بعض الاحيان الام بابا وهي تنوح بمرارة في معبدها مما يعكس عمق ارتباط الناس والمدن بالالهة، اذ يرمز بكاؤها الى الحزن الجماعي للمدينة واهلها وكان الالهة تتحمل الم المدينة بصفتها كيانا روحيا يرثى ما فقد.

11- تظهر كثير من مراثي بلاد الرافدين ان بوابات المدينة المرثية ظلت مشرعة بعد ان فك العدو اقفالها، مما يدل على انهيار الدفاعات وفقدان السيطرة على المدينة، ويعبر عن قوة العدو المدمرة التي وردت لتجرف كل شيء في طريقها كظاهرة طبيعية هائلة لا يمكن ان التصدي لها.

12-يستخدم تشبيه مجازي في قصائد المراثي حيث يجري تشبيه المدن بالانية الفخارية المحطمة وهو من ابلغ الصور المستخدمه في التعبير البلاغي، وهذا يبرز هشاشة دفاعات المدينة امام العدو، ويشير هذا التحطيم الى فقدان الهوية والهيبة للمدينة.

13- يبرز في بعض المراثي قرار الالهة بتدمير الجنس البشري بسبب افعاله التي ازعجت الالهة، وتظهر عمق الرابطة بين البشر والالهة في الفكر الديني وهذا يعكس فكرة ان الالهة رغم عنايتها بالبشر الا انها في بعض الاحيان تتخذ قرارات صارمة عندما ترى ان التوازن الكوني مهدد نتيجة اساءات البشر وضوضاءهم الذي يزعج نوم الالهة، وهو تصوير مجازي لقله احترام البشر للقيم الدينية والنظام الكوني.

14-تضمنت كثير من المراثي اسماء الملوك المسؤولين عن اعادة اعمار المدن بعد العقاب الالهي لها مم يعكس اهمية شخصية الملك في اعادة بناء المدينة المدمره بقرار الهي.

15- يستخدم تعبير بلاغي في المراثي يعبر عن الحزن الذي تمثله حمامات المدن المعاقبة، عندما تسعى الى مغادرتها لان مدنها اصبحت غير امنة ومحفوفة بالاشواك البرية اي الغزاه.

16- تعتبر المراثي السومرية التي ترجع الى الالف الثالث قبل الميلاد اولى المراثي في الشرق الادنى القديم، بل ان كل المراثي البابلية التي جاءت فيما بعد هي مراثي ذات اصول سومرية قديمة، ومنها ادب النواح .

17- تمثل قصائد المراثي في حضارة بلاد الرافدين تجليا ادبيا وفلسفيا عميقا لمفهوم التدمير بوصفه حدثا يتجاوز الجانب المادي الى ما هو كوني ووجودي، فهي ليست تسجيل لبكاء مدينة او توثيق لانهيار نظام سياسي بالخطاب، بل هي رؤيه شاملة للوجود لتعيد العلاقة بين الانسان والالهة والنظام والفوضى والمقدس والمدنس.

DOI: https://doi.org/10.47831/gtqxdz70

المصادر العربية

- ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت711هـ/1287م)، ابن منظور. (1414هـ/1992). لسان العرب، ماده رثى،ج14. بيروت: دار صادر.
- احمد سوسه. (1986). تاريخ حضارة وادي الرافدين،ج2. بغداد.
- الواحد فاضل عبد ، علي. (1986). سومر اسطورة وملحمة. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- بارو اندريه. (1977). سومر فنونها وحضارتها. (د. عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، المترجمون) بغداد.
- ثابت شيبان، الراوي. (2000). الطقوس الدينية في بلاد الرافدين حتى نهايه العصر البابلي القديم. بغداد: جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الاثار.
- جورج بوبيه شمار. (1981). المسؤولية الجزائية في الاداب الاشوريه والبابليه. (سليم الصويص، المترجمون) بغداد.
- حسين احمد سلمان. (2008). كتابة التاريخ في وادي الرافدين في ضوء النصوص المسمارية. بغداد.
- حكمت بشير، الاسود. (2002). ادب الرثاء في بلاد الرافدين في ضوء المصادر المسمارية. الموصل: جامعة الموصل كلية، الاداب قسم الاثار.
- رو. (1992). العراق القديم (المجلد ط3). (حسين علوان، المترجمون) بغداد.
- رينيه لابات. (2013). المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين. (الاب البير ابونا ووليد الجادر، المترجمون) بغداد.
- شاه محمد علي. (1976). اور بين الماضي والحاضر. بغداد.
- طه باقر. (1986). مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج1. بغداد.
- طه، باقر. (1976). مقدمة في ادب العراق القديم. بغداد: دار الحرية للطباعة.
- فرج بصمه جي. (1955). الوركاء، ج1. بغداد: مجلة سومر.
- فوزي رشيد. (1980). الشرائع العراقية القديمة. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- فوزي، رشيد. (1997). اوروكاجينا. بغداد.
- نيكولاس بوسكيت. (1992). حضارة العراق واثاره (المجلد الطبعة 2). (سمير عبد الرحيم الجلبي، المترجمون) بغداد.
- ول ديورانت. (1961). قصة الحضارة، م1،ج2. (محمد بدران، المترجمون) القاهرة.

DOI: https://doi.org/10.47831/gtqxdz70

المصادر الاجنبية

Black,H,A, ed.(2004) .The Literature of ancient Sumerm .USA: Oxford University.

Black,J & Green,A.(1998) .AGods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia .England.

Cohen,E. (1974) .Sumerian Lamentation Liturgies of the second and first Millennium B.C .vol.I, SANE.

Dalley,S.(1998) .Myths from Mesopotamia:creation,the flood ,Gilgamesh ,and others .USA: Oxford University press.

Enuma Elish & Heidael Alexander . (1942) .The Babylonian Genesis ;The Story of the Creation.

Falkenstein,A .(1950) .Die Ibbisin-Klage .Wo,1.

Foster,B,R.(2005) .Before the muses ;An anthology of Akkadian literature .CDL press.

George,A,R.(2003) .The Babylonian Gilgamesh epic , Vol.1, Oxford University Press.

George,A,R.(2013) .The poem of Erra and Ishum ;ABabylonian poets view of war "warfare and poetry in the Middle East.

Green,M,W.(1978) .Eridu in Sumerian Literature, vol.30, Journal of Nuneiform Studies.

Green,M,W.(1984) .The Uruk Lament . JAOS,!04.

Gwatney,j,R,W,C.(1983) .The Biblical Book of Lamentation ,in Context of Near Eastern Lament Literature . USA.

Jacobsen,Th.(1942) .Review of Lamentation over ,The Destruction of Ur" .AJSL,58.

Karlsson,M.(2013) .Early Neo-Assyrian State Ideology .Sweden.

Kennedy,H ،& ed .(2013) .Warfare and poetry in the Middle East .Bioomsbury Publishin.

King,L,W.(1916) .AHistory of Sumer and Akkad .London.

Kramer,S,N.(1940) .Lamentation over the Destruction of Ur,Assyriological Studies .Chicago: The University of Chicago Press,No.12.

Kramer,S,N.(1969) .The Deluge .ANET.

krecher Joachim.(1987-1990) .Literature Reallexikon der Assyriologie, vol.7, RLA.

Kvanvig,H.(2011) .Chapter Four,The poem of Erra and the Disruption of Cosmic Stability "primeval History , Babylonian Biblical, and Enochic. . Brill.

Langdon,S.(1919) .Sumerian Liturgies and Psalms, Vol.x, Philadelphia.

Langdon,Stephen.(1941) .Historical and Religions Texts from the temple of Nippur .BE,31.

Leik,G.(1991) .ADictionary of Ancient Near Eastern Mythology .London.

Lutz,H,F.,.(1918-1919) .An Omen Text Refering to The Action of Dremer .AJSL ,vol.35.

Michalowski, P. (1989). The Lamentation over the Destruction of Sumer and Ur. USA: USA.

Ponchia,S.(2013). Hermen eutical Strategies and Innovative Interpretation in Assyro-Babylon Texts; The case of Erra and Ishum .State Archives of Assyria Bulletin 20.

Tinney,S.(1996) .The Nippur Lament .Philadelphia.

Wiggerman,F,A .(1992) .Mesopotamian Protective Spirts the Riutal Texts .Netherlands: Cuneifrom Monographs 1.

Wisnom,L..(2014) .Intertextuality in Babylonian narrative poetry Anzu, Enuma Elish,Erra and Ishum. Diss . UK: Oxford University.

Wisnom,S.(2019) .Blood on the wind and the Tablet of Destinies ;Intertextuality in Anzu ,Enuma elis, and Erra and Esum .Journal of the American Orirntal Society 139.2.

DOI: https://doi.org/10.47831/gtqxdz70